الاعتداء الجنسي: انتقام من صدمات الطفولة المبكرة دراسة سيكوباتولوجية من خلال التقنية الاسقاطية

زهراء جعدوني،
جامعة معسكر.

الملخص: الكثير من النظريات النفسية تعتبر الاعتداء الجنسي أحد أصوات غريزة الموت وأحد أشكال الغريزة العدوانية في حركتها الحرة، وقليل فقط منها يدرجها ضمن نطاق الغريزة الجنسية. المقال يدور حول التحليل السيكوباتولوجي لفعل الاعتداء الجنسي لعينة من المعتدين جنسيا من خلال التقنية الاسقاطية (الروشاخ وTAT) ويحاول إعطاء فرضية تفسيرية جديدة للفعل الجنسي العنيف من خلال مناقشة نتائج الدراسات التفسيرية لفعل الاعتداء الجنسي لكل من BALIER (2008) عن استحواذ الاغتصاب وNEAU (2005) عن "الذكورة الهوسية" بمقابل دراسة CHABERT (1997) عن الأنوثة المانيخولية.

الكلمات المفتاحية: الاعتداء الجنسي، التقنية الاسقاطية (اختبار الروشاخ واختبار تفهم الموضوع TAT)، صدمات الطفولة الأولى.
مقدمة:

أكد العديد من المختصين في تشخيص وعلاج المعتدي الجنسي على صعوبة إعطاء تشخيص بنوي دقيق، كون غالبية هؤلاء المعتدين يتواجدون على هوامش الوحدات النفسية المرضية الرئيسية بين الشذوذ والذهان، في هذه الممارسة الجنسية تفرض العلاقة من شريك على الآخر بكل عنف أو تحت التهديد أو المباغمة لتحقيق اللذة للشريك المعتدي والتدمير للشريك المعتدى عليه.

الشيء المؤكد هو أن ظاهرة الاعتداء الجنسي تعبر عن اضطراب نفسي عميق لم تدرجه التصنيفات العالمية للاضطرابات العقلية (DSM IV-CIM) (10) في تصنيفها للاضطرابات الجنسية حتى تلك الأكثر عنفا في شكلها السادي، وليس نوعا من الشذوذ الجنسي ولا الشذوذوية الجنسية (La perversité) رغم التداخل الذي كان موجودا؛ بحيث استمر استعمال هذه المفاهيم لتفسير الاعتداء الجنسي لعشرينية من الزمن مع المختصين في السيكوباتولوجيا التحليلية منذ فترة السبعينيات من القرن العشرين.

كان (BALIER) أول من أشار إلى وجود اختلافات بين مفاهيم الاعتداء الجنسي والشذوذ والشذوذوية الجنسية، واعتبرها ظواهر مرضية منفصلة عن بعضها لا يمكن تفسير إحداها بالأخرى؛ بحيث اعتبر الشذوذوية الجنسية عودة للفعل دون تصورات كامنة، تتواجد بها ديناميكية واحدة محركة تتموضع بين تدمير الضحية بدلا من تدمير الذات وتحقيق الجبروت النرجسي، لتعطي نوعا جديدا من الحاجات التي تعتبر حلولا ذات طابع إدماني تتكرر كلما ألحت هذه الحاجات على الإشباع. في هذا النوع الجديد من الشذوذوية يسيطر مفهوم الاستيلاء على الموضوع، لكن العنف يوضع في خدمة الجنس فترتبط الغريزة

الجنسية بالتدمير؛ لتتموضع وتتواجد على مستوى متقدم من النمو النفسي يعبر فيه الشاذ عن التصورات والأشكال الاستهامية بأساليب شبقية، وفي الشذوذ الجنسي تكون العلاقة بالضحية قائمة على الهيمنة النرجسية القضيبية وتقوم العلاقة بالموضوع على نمط من الاستيلاء والتملك وإنكار الغيرية؛ بمعنى أن العلاقة تقوم على نمط الاستعانة بالفعل للسيطرة على الضحية التي تصغر قيمتها إلى درجة الموضوع- الشيء ذو المنفعة الأنثوية (اللحظية) وتفقد قيمتها الإنسانية في نظرة المعتدي، وتوجه القسوة النرجسية والانتصار المطلق على الآخر إلى سحق الضحية وأحيانا قتلها نظرا لارتباطها بتحقيق الجبروت النرجسي (CHAGNON, 2005).

أشار (LAPLANCHE) عام 1987 إلى أن التواجد الحقيقي للشخص يولد عند الاتصال بالمواضيع الخارجية ويحدث على قاعدة لاشعورية تختلط فيها الغريزة بالمشهد الأولي، وهو الأمر الذي يحدد بعد ذلك نوعية وكيفية اتصالنا بهذه المواضيع، وهو ما يفسر السلوكيات ذات التعبير العنيف أو ذات الصبغة العدوانية. هذا المعنى أثر كثيرا في دراسة الاعتداء الجنسي؛ بحيث استفاد منه (BALIER) الذي تجاوز عام 1988 التعبير عن الحاجات الجديدة والحلول الادمائية لتفسير تكرار الفعل الشاذ، ليفصل نهائيا بين الشذوذ والشذوذية والاعتداء الجنسي، وأصبح سلوك المعتدي تعبير عن حاجة ملحة لملى فراغ داخلي من خلال جسد الضحية التي تكون موضوعا مشتهى أكثر منه محب وتصبح موضوعا للإسقاطات العنيفة ووسيلة للإشباع الجنسي المصحوب بالذهول أمام حدة وضغط الغرائز المحركة للفعل (RAVIT, 2004). نحن إذن أمام الحاجة للتفريع؛ حيث يصبح الموضوع المدمر جنسيا موضوعا مغريا والعلاقة به علاقة تملك واستيلاء.

ماذا يحدث إذن خلال فعل الاعتداء الجنسي؟ هل تفتح بوابة المنوعات والمحرمات للحظة ويبعد الأنا الأعلى أمام هذا الاختلاط ويفسح المجال للهو ليعبث كما يريد في أبشع انفجاراته جامعا العنف باللذة؟ وهل المعتدي الجنسي يحاول من خلال فعله ترميم آثار التصدمات النرجسية في علاقته بمواضيع الحب الأولية (CHAGNON, 2000, 2007) فيدرك ضحيته وكأنها جزء منه، ويعود به الفعل إلى مرحلة الوله الطفولي ويعمل ضم الموضوع- الضحية على علاج وضعية وآثار فقد موضوع الحب الأولي؟.

يرى (BALIER) بأن ما يحرك المعتدي الجنسي هو الانشطار: جزء من الأنا يعمل بشكل يظهر متوازنا، والجزء الآخر يستقر داخل نظام أولي لا يمكن فهمه أو ترجمته إلا من خلال المرور إلى الفعل والشخص في هذه الحالة يكون غائبا؛ كونه محاصر داخل الكره والذهول والعنف المقترن باللذة المطلقة. مجمل النتائج المتوصل إليها في دراسة المعتدي الجنسي (الفرنسية والكندية خاصة) وممارستنا العيادية بالوسط العقابي وخارجه مع هذه الحالات، خاصة تلك التي اعتمدنا معها على التقنية الإسقاطية إلى جانب المقابلات العيادية في الفحص، أشارت إلى وجود إشكاليات مختلفة في التوظيف النفسي للمعتدي. سنحاول دراسة إحداها من خلال المنهجية الموالية.

منهجية البحث: الدراسة قامت على المنهج العيادي الذي يعتبر "منهجاً خاصاً لفهم السلوكيات الإنسانية بتحديد كل ما هو نوعي وفردى لدى الشخص... في وضعية محدودة" (SILLAMY, 2003: 58) وذلك بتحليل صراعات الشخص ومحاولة حلها. يتناول هذا المنهج القائم على ثلاثية الديناميكية النفسية ونشأة الاضطراب النفسي وشمولية الإنسان الفرد في كليته في الحالتين السوية والمرضية، من خلال ربط الأحداث والوقائع والمعطيات المجمعّة عن الحالة بهدف إعطاء تأويلات لهذا الكل المتفاعل في ديناميكية. استعملنا في هذا المنهج دراسة الحالة التي تقوم على علاقة نوعية بين الفاحص والمفحوص من خلال المقابلة العيادية نصف الموجهة والتقنية الاسقاطية (اختبار الروشاخ واختبار تفهم الموضوع - TAT). اخترنا تطبيق الاختبارين معا في دراسة الحالة لأنهما يسمحان بتقويم وتشخيص دقيق للشخصية وللتوظيف النفسي بالارتكاز على دليلين ذو مصداقية عالية، وبإثارة ديناميكية نفسية من خلال لمس الخبرات النفسية بواسطة المادة الاسقاطية التي تتميز بالغموض وبالتنظيم المختلف في الاختبارين مما يساعد على تنشيط إدراك الشخص بشكلين مختلفين. اختلاف درجة ونوعية الإنتاجية لدى الشخص في الاختبارين تؤكد على دلالة الاختبارين التي تقسح مجالاً واسعاً لأسلوب تواجد خاص يستحق الانتباه من طرف النفساني. تناسب الاختبارين وتناسقهما لدى التركيبات النفسية المستقرة تم تحديده وتوضيحه بدقة في العصاب والذهان، وقد تم "إثراء التشخيص الفارقي في علم النفس المرضي أيضاً...بتحديد الفرق بين التوظيف البيئي والتوظيف العصابي يؤكد أنه أو ينفيه (TAT) بصيغ إعداد الحوار، ويظهر الروشاخ بدقة الفروق بمؤشرات التصدعات النرجسية الحادة. يؤكد تفكك صور الروشاخ مدى عمق أنماط التوظيف الذهاني الذي يقنع في (TAT) بنحافة قوقعة الامتثال للتكيف" (CHABERT, 1998: 63)، هذا الأمر يجعلنا نلتزم بتقديم الاختبارين بشكل متتابع؛ لأن (TAT) الذي يتضمن السرد والحوار يكبح عملية النكوص ويعيد كما قال (D. ANZIEU) إلى الطفولة الثانية، في حين اختبار الروشاخ بمادته المركبة يستحضر الجسد وينشط الإشكاليات المرتبطة بالتمييز بين العالم الداخلي والعالم الخارجي ويعيد الشخص إلى مرحلة ما قبل اللغة. الاستعمال المتكامل للاختبارين يسمح بتفعيل ديناميكية الغرائز والدفاع لدى الشخص بطريقتين مختلفتين، وفي سياق آخر تؤدي المظاهر المتناقضة إلى الكشف عن السلوكيات النفسية الحقيقية في الاختبارين من خلال التحليل. هناك إذن حساسية لكل اختبار اتجاه الآخر، والاستعمال المتكامل للاختبارين يقوي إمكانية حصر وتحديد مختلف أنماط التوظيف النفسي في نظرة تجمع مختلف الجوانب المتنافرة والمتناقضة من الشخصية.

عينة البحث هي عينة قصدية تم اختيارها بدقة وبناية من خمس ولايات مختلفة من الغرب الجزائري، تتكون من تسع حالات تم اختيارها وفقاً للمعايير التالية:

أولاً، الطابع العنيف في السلوك الجنسي بإجبار الضحية على ممارسة السلوك الجنسي.

ثانياً، أن يكون المعتدي ذكراً بالغاً وقت ارتكابه للفعل الاعتدائي لتجنب أن يكون الفعل من ترسيات الضغط الجنسي للمراهقة، وأن تكون الضحية أنثى؛ أي وجود عنف في السلوك الجنسي الطبيعي الممارس بين الجنسين.

ثالثاً، أن لا يكون المعتدي مصاباً باضطرابات حادة في التفكير أو مصاباً باضطرابات ذهانية معالجة أو غير معالجة، لتفادي فكرة أن يصاحب الاعتداء الجنسي لمرض عقلي أو ينجم عنه، واعتدنا على نموذجي التشخيص العالمي لفرز الحالات، فتجاوزنا مجموع الحالات المحولة إلى مصلحة الطب العقلي للتكفل بها؛ لأن وجود اضطراب من هذا النوع قد يكون سبباً في إقدام الشخص على الاعتداء الجنسي على الآخر أو قد يخفي الواقع النفسي للمفحوص مما يصعب فصل الفعل الاعتدائي عن الاضطراب الأصلي.

البناء النظري:

1. تاريخ وتعريف الاعتداء الجنسي: مع النظرية الفرويدية تم الربط بين كل ما هو جنسي والغريزة، هذه الأخيرة التي عرف فيها نوعين: غريزة الأنا التي توجه لحفظ الذات والغريزة الجنسية؛ ففي مقالاته الثلاثة المنشورة عام 1905، 1914، 1920 توصل (FREUD) إلى التمييز بين لبيبدو الأنا ولبيبدو الموضوع، في حين يرى DAVID (1972) بأن "...في تعارض غريزة الحياة وغريزة الموت تكون مكانة الجنسية غامضة، لكن يبدو أنها تتموضع في جانب غريزة الموت عكس ما كانت تعتقده النظرية الأولية للبيبدو" (مشار إليه في: 110 : GOURLAOÏEN-COUTON, 2005). في حين اعتبر الطب العقلي المعاصر الاغتصاب "الجريمة الوحيدة التي يحس فيها المعتدي أنه بريء وتحس الضحية بالعار" (CHESNAIS, 1981 : 172) وحسب (N. GROTH) فإن أي شخص يمكن أن يقوم بالاعتداء الجنسي؛ لأن الاعتداء ليس إلا سلوكاً وفعلاً شبه جنسي يجيب عن حاجات غير جنسية كالغضب والسلطة والفرائز السادية (أشار إليه 163 : BALIER, 1993)، وذهب (MC KIBBEN) بعيداً إلى اعتبار أن "الرغبة في الاغتصاب تسجل في لاشعور كل رجل في شكل رغبة ملحة وضاعطة تدفع الجنس الذكري للتزاوج مع الجنس الأنثوي... لا شيء يميز الرجل المغتصب عن غير المغتصب إلا التربية والخلق والقانون الاجتماعي الذي يتم تجاوزه فجأة" (62 : 1993). صنّف الطب العقلي الاعتداء الجنسي في محور الاضطرابات الجنسية (Les Paraphilies) في (DSM VI) وفي "اضطراب الاختيار الجنسي" في (CIM 10) أين تم التأكيد في كلا التصنيفين على اضطراب هدف وموضوع السلوك الجنسي، ليبقى بذلك الاعتداء الجنسي مرتبطاً بالشذوذ (فعل شاذ أو شخصية شاذة). مع تدخل التحليل النفسي المعاصر مع أعمال (BALIER) وأعمال (CIAVALDINI) خاصة تغيرت النظرة للمفهوم، وسمح هذا بفهم الفعل كإمكانية دفاعية وفهم

الديناميكية العدوانية والشاذة؛ بحيث استعملت مفاهيم الشذوذ في تفسير ظاهرة الاعتداء الجنسي بالاعتماد على تحليل نفسي مرضي للفعل. بدأ (BALIER) أولى أعماله عن السلوكات الجنسية العنيفة بتحديد مستويين من الشذوذ هما: الشذوذية الجنسية أو ما سماه عام 1996 بالشذوذ من الدرجة الأولى أين يتغلب العنف والتدمير ويكون هذا المستوى قريب من الذهان، المستوى الثاني هو الشذوذ الجنسي الذي تشكل فيه السلوكات الجنسية وظيفية دفاعية ضد قلق الخصاص أو قلق فقد الموضوع. من هذا التصنيف الجديد أصبح السلوك الجنسي العنيف منفصلا عن الشذوذ، واعتمد في فصله هذا على تصنيف GREEN (1979) للمرور إلى الفعل والسلوكات غير المتكيفة التي تتدرج في ثلاثة أصناف: الصنف الأول يشمل السلوكات الدفاعية التي لها خصوصية إثبات واقع الحدود وديمومتها وصلابتها (تعاطي المخدرات، الهروب من البيت ومن المدرسة، السرقة والاختلاس)، الصنف الثاني هو ما سماه بالسلوكات البينية ليس لها وظيفة دفاعية وهي غير تدميرية ولا تهاجم الموضوع لكنها تهاجم الذات عموما، الصنف الثالث هو السلوكات التدميرية والتي تخص كل تدمير أو محاولة تدمير للموضوع الخارجي الذي يكون مصدرا للمعاناة واللاتوازن. تظهر بعد ذلك عدة محاولات دفاعية فاشلة أمام تهديد الموضوع الخارجي وهي التي يصنف ضمنها الاعتداء الجنسي.

هناك مقاربتان تناولتا تعريف فعل الاعتداء الجنسي: تتحدث الأولى عن الفعل الممارس جنسيا وغير الجنسي؛ بحيث لا يتم اختيار الضحية لميزاتها الجنسية، فبعض المعتدين لا يعتقدون إلا على النساء (BALIER, 2008) والمحتوى الكامن للاغتصاب لا يؤخذ من خيال جنسي لكن نرجسي (BERGERET, 1995)؛ فالاغتصاب عدوانية حرّة تابعة لغريزة الموت، تتميز بحاجة ملحة للتفريغ توجه لتدمير الآخر وحماية المعتدي نفسيا (BALIER, 1993)، ويحدث في سياق تدمير غريزي بالعودة إلى القضيبي الرمزي الموجه لمراقبة الموضوع والسيطرة عليه. إذن الاغتصاب هو نشاط قضيب رمزي يدعمه نقل القدرة المطلقة الشرجية. هناك توجه ثاني يعتبر الاعتداء الجنسي فعلا يوجه لإيقاف آثار التدمير النفسي للمعتدي نتيجة للغريزة الجنسية بالعودة للشبقية، وهو التوجه الذي تبناه (MC DOUGALL, 1993).

يعتبر الاغتصاب شذوذا إذا كانت العلاقة الجنسية مفروضة من شخص على الآخر دون الاهتمام بحاجاته ورغباته، ويشمل بذلك الاعتداء الجنسي كل ما هو اغتصاب (على ذكر أو أنثى) وزنا المحارم باعتبار أن الفعل يمارس على الضحية من دون قبول أو دراية بمحتوى الفعل، والبيدوفيليا حتى وإن انعدم العنف في الفعل نظرا لصغر سن الضحية.

2. التفسيرات النفسية التحليلية المعطاة لفعل الاعتداء الجنسي:

1.1. الاعتداء الجنسي كسلوك استحواذي: يمكن الحديث عن الاعتداء الجنسي كتحقيق بسيط للغريزة وكجزء ملازم للتنظيم الجنسي

الذكوري، ليصنّف كسلوك مرضي يظهر في شكل عدواني تعبر من خلاله التتظييمات المرضية عن معاناتها. في هذا النوع من المرور إلى الفعل يجب أن نفهم مكانة النرجسية القضيبية في علاقات المعتدي مع الاضطرابات النفسية التي واجهها في مراحل النمو، وما تمثله وظيفتها كفعل يظهر في الواقع الخارجي؛ لأن هذا الأمر يحدث في الجهاز الجنسي أولاً ويبقى على مستوى الرغبة. يكون الفعل إلزامياً لاستهام الرغبة الجنسية ليمثل انفلاتاً للفعل يفترض قطيعة مع العمل النفسي وانقلاباً كلياً في التوظيف النفسي وتشكل الفريزة طاقة ضرورية لتحقيق الرغبة وللعمل النفسي والمرور إلى الفعل، ويكون الاغتصاب استحواذاً يسيطر على تفكير متطفل يقاوم الشخص ضده. يلاحظ استحواذ الاغتصاب على المستوى الإكلينيكي في أشكال متعددة، ويكون المعتدي قد ارتكب سلسلة من الاغتصابات قبل أن يلقى عليه القبض، حتى وإن لم يكن هناك تكرير فعلي للفعل الاغتصابي، فهناك دائماً أفكار استحواذية للمرور إلى الفعل ويسبق الفعل دائماً إنتاجية نفسية يغطيها غالباً نوع من الإنكار. هذا الاستحواذ لا يرتبط بضحية معينة، فقد تكون امرأة مسنة أو طفلة صغيرة، المهم أن يكون "موضوعاً في شكل إنساني يمكن الإيلاج فيه" (BALIER, 2008: 30). يمكن تفسير هذا السلوك من خلال التثبيت على رغبة موضوع جزئي وهو الأمر الذي أشار إليه (FREUD) عام 1920 بإدخال فريزة الموت المترجمة في آلية التكرير حتى ولو كان تكرير مشهد يتميز بعاطفة الكدر.

2.2. القدرة القضيبية والدفاعات البدائية: لدى المعتدي الجنسي رغبة وإلحاح على انفجار حدود الأنا لحظة المرور إلى الفعل الاعتدائي. ما يحدث في المشهد الواقعي هو شكل لنقل الصراع العنيف إلى العالم الخارجي ويمثل الموضوع الخارجي (الضحية) صورة الأم التي تنتقل إلى الخارج بسرعة لتفادي خطر الانفجار الداخلي (CHAGNON, 2008) لكن ما يعيش خلال الفعل يمكن أن يعود على مشهد داخلي من خلال الكوابيس وأحلام القلق والمخاوف الأولية ومن خلال الخيال والواقع اللذان يختلطان (CIAVALDINI, 2001) فيحدث إلغاء وإزالة كلية للحدود. أمام تهديد الانفجار يستدعي الأنا دفاعات أولية بدائية كالهوسه السلبية مما يؤدي إلى فعل تدمير ينجبه الذهاني عموماً في حالة الانشطار.

يستدعي الأنا ميكانيزم الانشطار (انشطار الأنا) في الاغتصاب ليضع الأنا في جزأين متعارضين: الجزء الأول يبقى متكيفاً مع الواقع وهو ما يفسر التكيف الاجتماعي والعلائقي للمعتدي الجنسي (نفس المرجع السابق) والجزء الثاني يحرك ويغيئ الغرائز الموجهة نحو الموضوع النرجسي ويحدث إشباع هذه الغرائز في مجال آخر من الشعور، وهو ما يجعل هؤلاء المعتدين بعد ارتكاب فعلهم يؤكدون على أن الأمر حدث كما لو كان حلماً. ويرتكز الانشطار على إنكار الواقع (إنكار غياب القضيب الذي يتحول إلى إنكار غياب الأم وإنكار التفريق عنها) ويترجم هذا الانشطار في

التعارض القائم على الإنكار في الهذيان أو في سلوك القدرة المطلقة والجبروت.

STOLLER (1975) تحدث عن الاغتصاب كشكل شبقي للكره أو كنوع من الشذوذ الخفي ضد جاذبية الاندماج مع الأم باعتبارها أول موضوع للتقمص؛ بحيث يجذب في البداية إلى رغبة أن يكون امرأة قبل أن يصبح ولدا صغيرا ويتضاعف هذا الكره أمام زيادة الاحباطات التي تحدثها الأم لطفها، لذا نتحدث عن خوف المقتصب من العلاقة الحميمية مع المرأة. يستحيل أن يعيش الشخص فعل الاغتصاب "...كتصورات أو كعمل نفسي يؤدي به إلى التكفل بتفكيره وعواطفه وصراعاته، فبدفع به إلى التآرجح في الواقع وفي الفعل خارج الذات لحمايته من الجنون" (BALIER, 2008: 53) هنا يوجد قطيعة في المعنى؛ لأن الفعل غير متاسق مع التفكير يصل إلى درجة الغرابة والتنافر بين الصراع الداخلي والفعل، خاصة وأن المرور إلى الفعل يضع الشخص في فضاء آخر باشباكات خاصة به يمكن أن تقارن باللذة النرجسية (RAVIT, 2004).

يؤكد (BALIER) في معظم كتاباته أن تكوين الأم القضيبية في هذه الحالة يكون ثانويا بالمقارنة مع المعاش التدميري والرغبة في الحصول على قضيب رمزي أبوي، هذه الرغبة تقلص الشخص إلى تقمص الأم المدمرة. إننا نتحدث هنا عن الحاجة لحماية النفس من تدمير أم القدرة المطلقة، وهي حالة من التناقض يعيشها الشخص بوسائل الدفاع الأولية وتحدث تصدعات في بنيته النفسية. يظهر البحث عن القدرة المطلقة وإنكار الخصاء من خلال الفعل الشاذ والفعل الجنسي العنيف والدفاع ضد القلق العصابي من خلال جعل القلق شهوانيا أو الدفاع ضد القلق الذهاني: التدمير، القتل وهي الحالات "...التي لم تستطع إدخال القضيب الرمزي الأبوي فتبحث عنه خارجا باستحواذ" (BALIER, 2008 : 155) ويتميز الاغتصاب بنرجسية قضيبية تتمثل في نكوص يخفي امتلاكا حادا للطفل يميز القدرة المطلقة كما هو حال البيدوفيليا والاستعراض الجنسي والاغتصاب وزنا المحارم.

3.2. تجميد المشهد الأولي وإلغاء الآخر: المعتدي الجنسي مهدد
بمشهد أولي غير متميز " هذا المشهد الأصلي هو جزء من الاستهجمات البدائية. خلال هذا المشهد الطفل كان (أو استهام) شاهدا على جماع الأبوين، ويعاش هذا المشهد في غالبية الأحيان كمشهد سادي ويعطي إحساسا بالحجر لمجرد إبعاده وإلغائه من هذه العلاقات الحميمية بين الأبوين" (BERGERET, 1982:60) ويظهر هذا التهديد في الفعل الاغتصابي الذي يعبر بشكل رمزي عن الإيلاج في المشهد الأولي كي يجمد ويتقادم بذلك تهديده.

يُميّز (BALIER) بين المشهد الأولي الذي يلغى في الذهان والشذوذ الجنسي ويكون له وظيفة دفاعية ضد قلق الخصاء أو قلق فقد الموضوع، أين يمكن للشخص أن يكون سيناريو معد مسبقا والمشهد الأولي الذي يجمد في الشذوذ من الدرجة الأولى ويتميز بغلبة الاغتصاب على اللذة

الشبقية. هذا الاستهام يصبح مروّعا للطفل الذي لم يتمكن من إنشاء منطقة آمنة بداخله ما يجعله "...يقدم قلقا من النوع النرجسي وقلق التكيف" (CIAVALDINI, 2001: 202) ويعيش المعتدي الجنسي استهاماته تبعا لمصطلحات (BALIER) كأشباح تستولي وتسيطر عليه، وتظهر خاصة بالموازاة مع الهيمنة النرجسية للاغتصاب. يجب إذن تجميد الاستهام لحظة بروزه، لذلك يجب على المعتدي أن يتصرف لحظة بروز هذه الاستهامات وهي لحظة تحرك غرائزه ومشاعره للاغتصاب. كيف سيجمد هذا الاستهام ؟

هناك حل واحد أمامه هو تجميد الموضوع من خلال تجميد الموضوع الخارجي؛ لكي يلغي نهائياً وجود الموضوع المهّدّد. المشهد الأولي إذن يولد مع الاستهام ولكي يلغي هذا الخوف، يتكل على المواضيع الخارجية لإزالة حالة الرعب والخوف التي يعيشها، وهو ما عبّر عنه (CIAVALDINI, 2001) بأن المعتدي الجنسي لم يتمكن من تنظيم قدرة اكتئابية وظيفية؛ كون الشخص يعاني من نقص موضوع الحب الأولي. وهنا تنعكس العاطفة الاكئابية الناجمة عن فقد موضوع الحب الأولي التي لا يمكنها أن تكون إلا عنيفة كلما هددت اندماجية الجهاز النفسي لتعطي الخوف من انشطار الأنا، يتمثل في ضد استثمار للفراغ بالفراغ لتجنب التفكير والمعانات أمام زيادة عاطفة الحزن (CHAGNON, 2000). وبالتالي غريزة التحطيم (التي تظهر في شكل اغتصاب) الناجمة عن غريزة الموت تسقط على موضوع خارجي لتجنب التفكك الداخلي فيستبدل قلق ضد قلق آخر. انه إذن حالة انشطار للأنا يصاحبها قلق حاد لفقد موضوع الحب ويتعلق الأمر بمرض الأنا (نفس المرجع) وفي النتيجة الأنا الأعلى، أو إنكار وانشطار الذات. هذا الانشطار يضع الشخص في حالة مربكة عليه أن يجد لها مخرجا من خلال (الموضوع/الضحية) الكائن بين يديه " ... بتدميره وإنزاله إلى درجة الشيء" (BALIER, 2008: 123)

التهديد الذي يواجهه الشخص هو أن المرأة التي يتعرّف عليها تصبح تهدّد الهوية الذكرية الهشة كما لو أنها "...المرأة التي سينكحها الأب" (نفس المرجع: 176) لذا يلجأ الشخص إلى تجميد المشهد، وهنا يعمل المرور إلى الفعل بتدمير الاستهام الأصلي. المعتدي ومن خلال إلغاء الآخر يتجنب الاندماج مع الأم (يتجنب الذهان) ليعيش من خلال المرور إلى الفعل اللذة والعدوانية في آن واحد؛ فيكون استعمال الغرائز التدميرية (في تشييء الآخر) حماية للشخص من الانفجار الذهاني. الشخص لا يتقمص الأم كموضوع، بل يتقمص المصادر الغريزية التي تسمح بالتبادل مع الأب.

3. نتائج الدراسة:

1.3 من خلال اختبار الروشاخ: عكس اختبار الروشاخ وجود محدودية في البروتوكولات ($11 > R < 08$) وحديث يتميز بالقلق والتردد، مع محتوى فقير وسيطرة الكف النفسي وضعف في الإنتاجية الاستهامية والعاطفية والتعبير عن الغريزة العدوانية في العلاقة المباشرة مع الفاحصة أو مع الاختبار. في حين حمل التعامل مع الغريزة الجنسية تناقضا واضحا من

خلال الهروب من مواجهة اللوحات ذات الرمزية الجنسية القضيبية أمام وجود إشكالية تقمصية جنسية، وعكس التعامل مع موضوع الحب الأولي وجود عجز في العلاقة مع الأم. تعيش كل الحالات عدم استقرار عاطفي وأحيانا استثارة عاطفية ومهاجمة الغريزة للتفكير ليؤكد وجود عجز في التصور وعجز عن التموضع في جو انتقالي يسمح بالتبادل بين الواقع والخيال. التكيف مع الواقع سطحي جدا وأحيانا غائب تماما، كما نلمس وجود خلل في الوظيفة الرمزية وفي الوظيفة الاستهامية وإن وجدت فهي تشير إلى استهجمات مرضية تصل لدى بعض الحالات إلى العجز الكلي.

ظهرت الإصابة في تصور الشيء وتصور الكلمة (تترجمه أكثر اللوحات الجنسية ولوحة الأم واللوحات الأنثوية) من خلال اضطراب اللغة لأن "...كل تناظر بين الدال والمدلول يرافقه تدخل للسيروورة الأولية، إذن فشل كل عبور أو تكرار لعناصر الأنا" (SHENTOUB, 1990 : 24). يظهر أيضا العجز عن تسمية الموضوع المدرك باسمه والاعتماد على البدائل من الكلمات لترميم غياب تصور الكلمة وأحيانا الاعتماد فقط على تسمية الألوان أو البقع أو إعطاء مفهوم غامض.

2.3. من خلال اختبار (TAT): سمحت المادة الصورية للاختبار بقراءة إدراكية واضحة لحد ما، رغم اختناق البروتوكولات بالكف النفسي والنمط الصارم الذي جعلها تخضع كلية لمثيرات العالم الخارجي، وغاب الاستثمار الاستهامي والعاطفي لهذا الواقع؛ بحيث تدرك المثيرات الخارجية من دون أي استثمار فعلي. الاعتماد على النمط الصارم يثري المحتوى الظاهر من خلال التشبث بمعطيات العالم الخارجي لتجنب التعبير عن العالم الداخلي، رغم أن هذا النوع من الدفاعات لا يسمح بإعداد الصراعات، كما تساهم الدفاعات واستثمار العالم الداخلي (الصمت والاختصار وإنهاء السرد من دون إعطاء نهايات للقصص) والعزل بين التصورات والنكوص إلى تجنب الصراع. الإعداد الاستهامي للمشهد الأولي في اللوحة (2) يبدو مستحيلا أو مثقلا بإشكالية التفريق؛ نظرا لانبثاق السيورورات الأولية أو إنكار الصور الأوديبية. إنكار الأم الأوديبية لدى العديد من الحالات يخدم الاستثمار الأوديبية السلبية الذي لا يمكن إعداده وأحيانا إنكار التفريق يخدم استهاما بدائيا للاندماج يمنع كل تصور للصراع ويفقد الموضوع، حتى وإن تم إدراك الثلاثية الأوديبية فإن إشكالية التفريق الحادة تمنع نشر واستمرار السيورورات الزمانية. التعامل مع الصراع الأوديبية أظهر حدود الارتكاز على الجانب الجنسي أو من خلال الاستثمار، ومخاوف أمام القدرة القضيبية خاصة، تترجم في وضعية التقمص الأنثوي أو الأموي القضيبية لترافق رفض القطب النشيط والأنثوي المستقبل وهو ما أدى بـ (NEAU, 2005) إلى الحديث عن "الذكورة الهوسية" التي تحمي المعتدي الجنسي من خلال السلوك الجنسي العنيف ضد ألم المانيخوليا الأنثوي وقلق التشكك والتدمير وضد كل ما هو جنسي من خلال التثبيت خارجا بدلا من الجنس مع الآخر.

كشفت البروتوكولات أيضا عن وجود تصدع عميق في النرجسية من خلال الهشاشة في الهوية وفي تصور الذات؛ بسبب حدوث اضطراب في سيرورة التقمص وهشاشة في الحدود (داخل/خارج) (ذات/موضوع). استعملت الدفاعات النرجسية لدى عدد كبير من الحالات لمواجهة الوضعية الاكتئابية ولتجنب الصراع.

نظرا للتمايز الحدود بين الذات والموضوع لاحظنا انسحابا نحو الوضعيات النرجسية كتسوية لرفض العلاقة الليبيدية أو عزل تام للعلاقة بالآخر، وهذا ما يترجم وجود إشكالية علائقية هامة سببها الخوف على الاندماج النرجسي يترجمها الاختبار من خلال صعوبة تصور الشخص الموحد أمام الموضوع الخارجي، الذي لا يتم التعرف عليه كموضوع منفصل عن الذات، وبالتالي استحالة استدخال الروابط بين الشخص والموضوع.

يظهر اضطراب الحديث من خلال فترات للتمايز بين العالم الداخلي والخارجي وبين الشخص والموضوع أو بين الجنسين أو بين الأجيال أو بين الفضاء والزمان، يؤثر كثيرا على السرد؛ وهذا ما يجعلنا نؤكد وجود خلل في وظيفة الرمزية.

3.3. من خلال المقابلات العيادية: أكدت المقابلات العيادية أن الأم لم تستطع حماية طفلها من الاستثارة الداخلية والخارجية، فتركته بشكل لاشعوري في جو من اللأمساعدة أحدث اضطرابا في نموه. عدم نضج الطفل لم يمكنه من تكوين تصورات للاستثارات التي كان خاضعا لها؛ فالحرمان من الوظيفة الأبوية المنظمة والحامية في علاقة الطفل بالأم بسبب عدم انتظامها كليا أثر على العلاقة بالمواضيع الحالية، والشيء نفسه يقال عن الأب كموضوع أولي يساهم في الاندماج النفسي لدى الطفل من خلال الوظيفة الأبوية.

الاستثارة الجنسية الحالية تترجم وجود عدم الكمال في التنظيم الأولي للمواضيع؛ بحيث يعبر الموضوع (الضحية) عن وجود الخطأ في وظيفة الرمزية التي تكشف بدورها عن معاش نفسي محروم من مواضيع الحب الأولية وكأنه استدعاء يأس. مرحلة المراهقة باعتبارها مرحلة انتقالية تكشف لدى الحالات عن حالة الضرر النرجسي؛ بحيث انفجرت العدوانية أو التمرد على السلطة أو المرور إلى الفعل الجنسي لتشير إلى العجز عن الوصول إلى الذات أو العجز عن الدخول في علاقة مع الآخر.

4. فرضية الانتقام من صدمات الطفولة المبكرة من خلال المرور

إلى فعل الاعتداء الجنسي:

معظم الحالات صرّحت بأنها لم تفهم ما حدث، وبالبحث في صحة ذلك من خلال دراسة وتفسير الأسباب الموجودة في تاريخ الحالة والطفولة أين تظهر صرامة أو انعدام التربية الجنسية والعلاقات الصعبة مع الأبوين (أب غائب غالبا أو صارم وأم قريبة جدا أو غائبة بدورها) والبحث في الأسباب النسقية المحيطة بالفرد أين يواجه البطالة والفقر والعوز المادي أو الوحدة والعزلة والتفريق والهجر أو تعاطي المخدرات أو الكحوليات أو وجود إصابة

عضوية أو تشوه جسدي يحدث نقصا. وبالبحث أيضا في الأسباب الداخلية التي لا يستطيع الشخص ضبطها والتحكم فيها والمتمثلة في الغرائز والعجز عن تصورها والتعبير عنها ذاتيا (من خلال التقنية الاسقاطية)، وبالتالي العجز عن ضبطها والتعبير عنها في مواضعها الطبيعية الملائمة أو التثبيت على مييزات معينة في الضحية تعيد إلى صور محدودة وأجزاء معينة من جسد المرأة، وهو ما يميز بشكل عام الحياة الجنسية الذكرية مما جعل (J. LACAN يعتبر "الجنسية الذكرية شاذة"، هذا الأمر لا يقودنا إلى اعتبار المعتدي الجنسي شاذًا رغم وجود هذه الميزة الشاذة. من خلال الدراسة النفسية التحليلية لكل تلك الأسباب مع بعضها يمكننا القول بأن فهم المرور إلى الفعل الجنسي من خلال العناصر العيادية المشار إليها سابقا يعيدنا بالضرورة إلى مفهوم KLEIN (1959) عن الرغبة الأولية التي تعتبر جزءا من الإعداد الغريزي المميز لمرحلة عمرية مبكرة. هذه الرغبة تجمع غرائز الحياة المتمثلة في التعرف على الحاجات والاندفاع اتجاه الموضوع وغرائز الموت. العلاقة بالموضوع تحدث مع التطور المميز للمرحلة الليبيدية لتدفع يحدث علاقة حب إذا كانت اشباعات المحيط تسمح بتأسيس موضوع داخلي جيد، لكن إذا فشلت سيرورة الإدماج في الأنا لإعداد موضوع جيد ومحبوب ليوضع مكانه الموضوع السيئ انطلاقا من سيرورة الانشطار العادي، تأخذ الرغبة شكلا مرضيا لمهاجمة الموضوع وتدميره. سنعود إذن إلى السنوات الأولى من التواجد الإنساني وتكوّن العلاقة بالموضوع لدى الرضيع، عندما يكون هناك تداخل ولا تمايز مع الأم تحرضه حركات حادة ومتناقضة.

مع ميلاد الطفل تولد الغريزة فيمتزج فيها الحب والتدمير، والعمل على هذا المزيج من قبل الأم والرضيع يؤدي إلى الانتقال من مرحلة اللاتمايز إلى مرحلة التمايز لينفصل الشخص عن الموضوع، لكن قبل ذلك فإن الدور الأساسي للأم هو إشباع حاجات طفلها من خلال ثديها كموضوع جزئي يرتبط به الطفل ويستدخله كموضوع جيد ومشبع للحاجات فيسقط عليه الحب، ثم كموضوع سيئ بتدميره (عضه) لأنه يحدث الإحباط أحيانا، ثم يستدخل أمه كموضوع كلي حقيقي للحب، لتشكل هذه الأم موضوعا للتعلق والارتباط يرتبط بغريزة حفظ الذات. الأم إذن تعبّر عن الحاجات والحنان والفضب لذا تسمى بموضوع الحب الأولي الذي تتشكل معه أول رابطة حيوية قبل أن يمكننا الحديث عن الجنسية الطفولية.

التقنية الاسقاطية كشفت عن عالم داخلي تسيطر عليه الغريزة التدميرية وتختلط فيه المواضيع الجيدة بالمواضيع السيئة والمعبر عنها من خلال التجارب الجيدة والمشعبة والمعاش الاضطهادي والمهدد، وهو ما يجعل الحركات الليبيدية والعدوانية معا تنظم العلاقة الموضوعية.

بما أن الاغتصاب يعبر عن "تدمير موجه ضد موضوع خارجي يترجم تكديسا خاصا للمواضيع الداخلية التالفة والتي لا يمكنها تخفيف حالة داخلية من أن يكون فريسة لضغط يزداد دائما" (RAVIT, 2004 : 220)

فهذا يعني أن تدمير موضوع خارجي وتملكه داخليا يخدع جبروت الانتقام من الموضوع، هذا الأخير الذي يثير الحاجة للتفريغ ويعيد في المقابل إلى التعبير المؤلم عن التبعية. تدمير الآخر الذي يملك ميزات يمكن ضمها إلى الذات (الناقصة على المستوى النرجسي) في شكل استدخال لكل ما يشبع العالم الداخلي، نظرا لوجود فقر وحرمان داخلي ناجم عن مجموع الصدمات التي تعرض لها الفرد في طفولته الأولى والتي تحرضها الأم من خلال سلوك الإهمال والرفض وعدم الاهتمام أحيانا أمام طلبات الطفل الطبيعية، ويترجم هذا الحرمان في العلاقة الأولية إلى سلوك عنيف. هذه الصدمة تبقى وتستمر مع الشخص في شكل حرمان "مع حاجة ملحة تطالب بالإشباع من طرف موضوع غير محدد" (BALIER, 2005 : 133) بمعنى آخر رفض المحيط الأموي المحبط والصادم بفتح المجال لخلط نفسي يؤدي إلى فشل سيرورة تكوين فضاء داخلي قادر على احتواء الاستثارة الغريزية وإعطائها معنى، فالإغتناب يحرض مشهدا فضا لرفض إشباع الشخص، هذا الأخير الذي يتم إقصاءه كلية من مشهد اللذة المشتركة (أم- طفل). يوجه هذا المشهد المثير الإغتناب ضد موضوع خارجي وضد سلوك الموضوع (الأم) الذي منع لذة مشروعة وحيوية (في السابق)، ويصبح الفعل الإغتنابي مسألة حياة أو موت (حياة أو موت الأنا بمقابل حياة أو موت الآخر) فيعمل المعتدي على الحصول على اللذة لوحده بعيدا عن اللذة المشتركة.

يمكن تخيل حدة وقوة الصدمة التي عاشها الطفل في علاقته مع أمه التي لم تستطع الاستجابة لطلباته الأولية، لذا نتحدث عن صدمة أولية لا تمثل فيها الأم موضوعا استهمايا فعليا، لأننا لم ندخل بعد مرحلة الموضوع. هذه الصدمة يعيشها الشخص على أنها حرمان وحاجة ملحة تطالب بالإشباع، وهذا ما يهيئ المعتدي الجنسي في البحث عن الإغتناب والحصول عليه وكأنه طفل ينتقل من امتلاك الموضوع إلى فعل عنيف يحققه وهو ما سماه (BALIER, 2005) بلذة القدرة. هنا نعود إلى رأي CHAGNON (2000) حين أشار إلى أن الاعتداء الجنسي هو اضطراب لما هو داخلي، إذن اضطراب للأنا العاجز عن لعب دوره كوسيط بين الفرائز والواقع الخارجي" فيكون المرور إلى الفعل حاجة ملحة لتفريغ شحنة من الاستثارة الغريزية التي تهدد بانفجار الأنا.

الشخص ينكص إلى مرحلة الطفولة ليتوجه إلى أمه في علاقاته الأولى معها في محاولة للتشبث بها من خلال الحركات التدميرية. انه استثمار جديد للموضوع الأموي في شكله التدميري وهنا تتأكد فكرة RAVIT (2004) في ضم الضحية إلى الذات لترميم الجزء المتصدع بها؛ لأن الاستثمار الحاد هو من أول عناصر تكوين الذات (حب الأم هو حب الذات) أي الاندماج مع الأم والاختفاء في الموضوع.

إذا تأثرت هذه المرحلة الطبيعية في النمو بالصدمات النفسية المبكرة بفعل الموضوع الأموي يحدث توقف في هذه السيرورة، فتهاجم الغريزة القوية كل من الذات والموضوع.

الأغتصاب هو مظهر للقدر المطلق للتدمير يكوّن فيها المعتدي علاقة تملك وتسلط على ضحيته وهي الفكرة التي أشار إليها (FREUD, 1924) في مقاله:

(Le problème économique du masochiste) بحيث تعود غريزة الموت في شكل مسالم فيمتزج بها الليبيدو ويوجه إلى الخارج لتعطي غريزة التملك المعبر عنها في إرادة القدرة، ويرتبط هذا التملك بغريزة الموت و بالغريزة الجنسية. يعبر عن هذا التملك بشكل مباشر لدى كل الحالات في العلاقة مع الفاحصة وفي العلاقة مع الاختبارين في حين تدخل معرفة الفاحصة الجنسية في المحك والتشكيك، ليعبر المفحوص عن وضعية تحكم في الاختبار أو في المقابلة ككل.

من المؤكد أن هناك حدث ما في محيط الشخص أيقظ هذه الصدمة العميقة وهذا الحزن الأولي؛ لأن كل الحالات لم تخطط مسبقا للفعل ولم تفكر فيه إلا لحظة حدوثه، فجاء بشكل مفاجئ حتى للمعتدي نفسه ولم تكن هناك تصورات مسبقة تحرك الشخص، فقط تصور المشهد الأولي الذي يتم تجميده حسب (BALIER, 2008)، فالمعتدي الجنسي ينتقم من خلال المرور إلى الفعل من صدمات الطفولة المبكرة ومن الأم التي أحدثتها. تساؤلنا الأخير يخص التقمص النرجسي (الأنثوي) القضيبى بمقابل رفض وضعية الكمون الأنثوية، وهي النتيجة التي بينتها المقابلات والتقنية الاسقاطية. هل نتحدث هنا عن أنوثة الرجال في جانبها الجنسي؟ وإن كان كذلك كيف نفسر رفض وضعية الكمون الأنثوية خاصة أمام صعوبة تصور الغريزة الجنسية؟

الخطأ في التواجد من منظور الأبوين خاصة الأم التي تتعامل مع طفلها وكأنه مفروض عليها (BALIER, 2000) وتمنع هذه الأم الغريزة من خلق مكان للتبادلات مع طفلها ومع مواضيع العالم الخارجي بعد ذلك، لتحتفظ ذاكرة الطفل بآثار من دون تصورات لأولى التجارب الجسدية المحبطة لترجم في وجود إشكالية تقمصية عميقة ومتأصلة تحدث عمقا اكتئابيا أو إحساسا مزمنًا بالفراغ الداخلي. مع عدم انتظام البنية الأوديبية فان الشخص لا يستطيع القيام بالتقمص الأوديبى، فتقمصه إذن يكون نرجسيا على نموذج الأم والذات.

(NEAU) حاولت الإجابة أيضا على هذا السؤال من خلال فرضية الذكورة الهوسية بمقابل فرضية (CHABERT) عن الأنوثة المانيخولية، أين "تشكل المانيخوليا أحد طرق تغيير اتجاه الكمون ضد الشخص المحبوب والمثير وضد الموضوع وأخيرا ضد الشخص نفسه" (1999: 57)، واعتبرت أن النشاط الهوسي يقوم بتغيير اتجاه الكمون إلى الخارج من خلال المرور إلى الفعل والواقع الخارجي لتحريك الاستهتام الاعتدائي، فيحدث نقص وإنقاص للأنوثة يأتي كضد استثمار لهذا المكان الكامن، وتحتل التثبيتات السادية الشرجية والقضيبية قبل الجنسية قيمة دفاعية يتم بها إخراج وإبعاد الجنسية الكامنة وتثبيتها في الآخر (مهما كان جنس

الضحية فان ما يهم هو كمونها) والهدف هو إعادة تأمين النرجسية وترميمها أمام الأصول الأنثوية للجنسية، فتأنيث الآخر جنسيا يحمي من التأنيث الجنسي للذات.

تجدر الإشارة إلى أن دراسة (NEAU) كانت ناقصة من الناحية المنهجية لأنها قامت بدراسة وتحليل عشرين بروتوكولا للروشاخ و(TAT) تم تطبيقها من قبل نفسانيين(غير الباحثة) ممارسين في الوسط العقابي. وهذا ما يعاب على هذه الدراسة ونتائجها؛ فللمقابلة العيادية دور أساسي في دراسة الحالة والتوظيف النفسي، لأن مجموع الأسئلة المعدة مسبقا للمقابلة والتي تمس بشكل مباشر فرضيات العمل تسمح بحصر تصورات المفحوص عن جرمه المرتكب وكيف يتحدث عنه، وهل هو مجرد وصف لمشهد منفصل عنه أم أنه فعل ينتمي إلى بنيته النفسية؟ وهل يستطيع استيعاب تفاصيل فعله واستحضارها ثانية على مستوى الكلمة والتعبير عنها، أم أنه يعجز عن ذلك بسبب نشاط ميكانيزم الإنكار من جديد، ومعرفة كيف يعيش الشخص هذا الفعل وما هي الآثار التي تركها في نفسه ودراسة استهاماته الشعورية ومعرفة تفاصيل حياته الجنسية، كما تسمح المقابلة بتقييم نوعية الإعداد النفسي للشخص وتحديد الوضعية التي تم فيها الاغتصاب والظروف الداخلية والخارجية المحيطة بها وإتاحة الفرصة للشخص لإعطاء تفسير لهذا الفعل وتحديد أسبابه من خلال تاريخ الطفولة والتربية والعلاقات الأسرية مع الأبوين ومع الإخوة وكيفية إشباع الرغبات والغرائز في الظروف العادية والاستراتيجيات النفسية المعتمدة لذلك من قبل الشخص؛ بمعنى مجموع الأسباب الداخلية (غرائز وأحاسيس) ومجموع الأسباب الخارجية المحيطة بالشخص كالظروف السوسيو اقتصادية. نقص هذا الجانب الهام في دراسة الحالة كان واضحا في دراسة (NEAU) التي غابت منها لمسة اتحاد معاشين نفسيين(المعاش النفسي للفاحص والمفحوص) وأثر ذلك على النتائج المتوصل إليها؛ لأنه لم تتضح في دراستنا هذه أية هوسية يمكن الاعتماد عليها في التفسير ما عدا لدى حالتين وهي ناجمة عن التوظيف النفسي الذي تسيطر عليه الدفاعات الشاذة أو النرجسية.

خاتمة:

مهما كان الواقع الذي جعلنا التحليل العيادي والتقنية الاسقاطية نواجهه، فانه مكننا من دفع المفحوص إلى اتخاذ وضعية أمام اللاتناظر الملاحظ لفعل الاعتداء الجنسي والتعبير عنه بالكلمة، ولأجل ذلك وجب علينا التمتع بالمقاومة النفسية أمام الحالات للتمكن من الإصغاء الجيد لها وقراءة وفهم أقوالها وما وراء أقوالها وفهم وتحليل استهاماتها التي ظهرت كنوع من المقاومة أمام انحرافات التخليبية.

ثراء الوسائل العيادية والمادة الاسقاطية المستعملة في الفحص النفسي ساهم بشكل ملاحظ في الإغراء النرجسي، وسمح بانسياب

وإنشاق المحتوى النفسي العميق والمعقد على لسان هذه التقنيات، وسهّل عملية الربط بين الأحداث وتفسير مختلف التصورات والمشاهد النفسية رغم سمة الكف النفسي الحادة التي سيطرت على مختلف التوظيفات النفسية لتكشف عن عدم النضج والمقاومة الحادة ضد الاكتئاب أو ضد الانفجار الذهاني، ليكون فعل الاعتداء الجنسي ضروريا للحفاظ على التناغم والتناسق النفسي المهدد في كل لحظة بالاضطراب. فرضية الانتقام من صدمات الطفولة المبكرة هي نتيجة توصلنا إليها بعد دراسة استمرت أربع سنوات، ومكنتنا من استخلاص أن عجز المعتدي الجنسي عن التمييز بين الجنس والعدوانية ناجم عن حالة الإحباط التي عاشها في مرحلة الطفولة المبكرة والتي لم تتمكن بنيته النفسية من احتوائها، فعادت في شكل جديد من الإجمام. نقطة الانطلاق إذن هي حالة الإحباط في العلاقات الشخصية الداخلية والاحباطات المبكرة التي يحاول الانتقام منها لتعطي حالة إجرام بظاهر غريزي.

هؤلاء المعتدين يسهل عليهم التصرف أكثر من تصور الرغبات؛ فيواجهون حالات عاطفية أولية وقلق قديم ويعيشون تجربة الاغتصاب من خلال مشهد أولي مبتكر ويستعملون الجنس في شكله الاعتدائي للهروب من حالة نفسية صعبة أكثر مما هو محاولة لتحقيق رغبة ليبيدية، ليدخل هذا الفعل في إطار الحاجة أكثر من الرغبة.

قائمة المراجع:

- BALIER. C (1993), Viols et incestes- Auteurs et victimes, SD Fine A, LE GUEN A, Oppenheimer A. IN Monographies de la Société Psychanalytique de Paris « les troubles de la sexualité », Paris, PUF, pp 159-182.
- BALIER. C (2000), Psychopathologie des agresseurs sexuels selon un modèle psychanalytique, IN A. CIAVALDINI et C. BALIER, Agressions sexuelles : Pathologies suivies thérapeutiques et cadre judiciaire, Paris, Masson.
- BALIER. C (2005), Retour aux sources, IN C. BALIER et coll, La violence en Abyrne, Paris, PUF.
- BALIER. C (2008), psychanalyse des comportements sexuels violents, 3eme édi, 2eme tirage, Paris, PUF, 1ere version 1996.
- BERGERET. J (1982), Psychologie Pathologie : théorie et clinique, 3 eme édi, Paris, Masson.
- BERGERET. J (1995), Les délinquances dits sexuelles, le point de vue du psychanalyste, IN Nervure, N° 07, Paris, pp 62-77.
- CHABERT. C (1997), Féminin mélancolique, IN Adolescence, « le temps de la menace », N° 30, Paris, bayard, pp 47-57.
- CHABERT. C (1998), Psychanalyse et méthodes projectives, Paris, Dunod.
- CHABERT. C (1999), Névroses et fonctionnements limites, Paris, Dunod.
- CHAGNON. JY (2000), Les troubles narcissiques chez les agresseurs sexuels, IN Psychologie clinique et projective, Vol 6, Paris, Dunod, pp 265-278.
- CHAGNON J.-Y. (2005), Aux marges de la psychose : la perversité sexuelle, **Bulletin de psychologie**, Tome 58(6) /480/ novembre-décembre 2005, pp 663-670.
- CHAGNON J.-Y. (2007), Traumatisme, violence et agressions sexuelles à l'adolescence et chez le jeune adulte, IN Marty F., SD (2007), **Traumatisme, violence et symbolisation**, IN Press, pp 123-147.
- CHESNAIS. JC, (1981), L'histoire de la violence, Paris, Robert Laffont.
- CIAVALDINI. A et coll (2001), Psychopathologie des agresseurs sexuels, paris, Masson.
- DAVID. C (1972), La perversion affective, IN La sexualité perverse, Paris, Payot.

- EMMANUELLI. M ET AZOULAY. C (2009), Pratique des épreuves projectives à l'adolescence, Paris, Dunod
- GOURLAOUEN-COUTON. S (2005), Traitement de la pulsion sexuelle et représentations masculines et féminines chez des hommes incarcérés pour viol, IN Psychologie clinique et projective, « Le masculin », 2005, Vol 11, pp105-131.
- GREEN. A (1979), L'angoisse et le narcissisme, IN Narcissisme de vie, narcissisme de mort, Paris, éd de Minuit, 1983.
- KLIEN. M(1959), La psychanalyse des enfants, Paris, PUF.
- LAPLANCHE. J (1987), Nouveaux fondements pour la psychanalyse, Paris, PUF.
- LAPLANCHE. J ET PONTALIS. JB (2009), Vocabulaire de la psychanalyse, 5eme édition, 2eme tirage, Paris, PUF, 1ere édi 1967.
- Mc DOUGALL. J (1978), Scène primitive et scénario pervers, IN Plaidoyer pour une certaine anormalité, Paris, Gallimard, coll. Connaissance de l'inconscient.
- Mc DOUGALL. J (1993), L'addiction à l'autre : réflexion sur les néo sexualités et la sexualité addictive, IN A. FINE, A. LE GUEN, A. OPPENHEIMER, Les troubles de la sexualité, Paris, PUF, coll. Monographies de la Revue française de psychanalyse.
- Mc KIBBEN. A (1993), La classification des agresseurs sexuels, IN J. AUBUT et coll., Les agresseurs sexuels : théorie, évaluation et traitement, Paris, Maloine.
- NEAU. F (2001), Etude du fonctionnement psychique d'agresseurs sexuels, Thèse de doctorat en psychologie clinique, SD/ Pr. C. CHABERT, Université René Descartes, Paris V.
- NEAU. F (2005), Masculin maniaque, IN Psychologie clinique et projective, « Le masculin », Vol 11, Paris, Dunod, pp 35-78.
- RAVIT. M (2004), Le viol ou l'autre comme empreinte de soi, IN Psychologie clinique et projective, « L'acte délinquant et la dynamique du fonctionnement psychique », Vol 10, pp 209-223
- SCHENTOUB. V (1990), Manuel d'utilisation du TAT, Approche psychanalytique, Paris, Dunod.
- SILLAMY. N (2003), Dictionnaire de psychologie, Paris, Larousse.
- STOLLER. RC (1975), La perversion fore érotique de la haine, Paris, Sock, 1978.